اليابان

قد كان من نهضة اليابان في العهد الاخير ما نبه اليهم خواطر اهل السياسة والعلم في جميع الاقطار المتمدنة ولا سيما بعد حربهم مع الصين مما اظهر انهم قد صاروا في مقدمة الامم الشرقية باسرها وجارَوا اعلى ممالك اوربا في الحضارة والعلمِ والسياسة والقوّة الحربية ولذلك رأينا ان نتكلم شيئاً على جغرافية هذه المملكة وتاريخها وتطوّرها في اطوار الحضارة والعلم الى الزمن الحاضر مما لا يخلو من تبصرةٍ لقومٍ يتفكرون

تتألف مملكة اليابان من عدة جزائر في الطرف الشرقي من آسيا يبلغ مسطَّحها نحواً من خمسين الف كيلومتر مربع وموقعها بين ١٢٦° و ١٤٨° من طول باريز الشرقي و ٢٩° و٤٧° من العرض الشمالي ويحدها من الشمال القسم المستقل من تَرَاكَاي والقسم الروسي مع ارخبيل كوريل ومن الشرق والجنوب المحيط الاعظم ومن الغرب مضيق كوريا وبحر اليابان والبحر الازرق . واول من وصف هذه البلاد الرحالة الشهير ماركو پاولو في اواخر القرن الثالث للميلاد ثم وردها قومٌ من البرتوغال سنة ١٥٤٣ فعرفوا من امرها بعض الشيء وكانت قبل ذلك العهد موصدةً في وجوه الاجانب لا يدخلها غريب

وجزر هذه البلاد جبلية يبلغ ارتفاع بعض جبالها نحواً من ٤٠٠٠ متر وبعض قممها لا تفارقها الثلوج . وارضها بركانية وفيها كثيرٌ من البراكين المتقدة واشهرها بركان سيرايابا في جزيرة نيفون وارتفاعهُ نحو ثلاثة آلاف

متر ولذلك تكثر فيها الزلازل

اما هوآء هذه البلاد فأبرد مما يُظَنّ بالقياس الى اقليمها وشتآؤها قارس الا ان جوّها على الغالب كثير التقلب ويكثر فيها الضباب ولا سيما على السواحل وتربتها على العموم قاحلة صخرية ولكنها باجتهاد الاهالي مع جعل الفلاحة فرضاً عليهم تحوَّل اجدب اقسامها الى اراضٍ خصيبة واشهر غلالها الارزّ والقطانيّ باصنافها وفواكه الجنوب والشاي والقطن والكتان واللك والكافور ولهم عنايةٌ عظيمة بالحرير . وفي اليابان مناجم ذهب وفضة وقصدير وحديد ونحاس وزئبق وفحم معدني وكبريت وغَضار صيني وغير ذلك

اما عدد الاهالي فيبلغ نحو ٤١ مليوناً وهم يرجعون الى السلالة المغولية وربما كانت ممتزجةً بالسلالة الملقّية وقاماتهم متوسطة الا انهم شديدو الأَسر وفيهم نخوةٌ وذكآء وثقوب فطنة وشجاعة وحزم ونشاط الى العمل لكنهم قساة الطباع شهوانيون ذوو اضغان والحياة عندهم لا قيمة لها حتى اذا رأى الياباني انهُ قد اهين فكثيراً ما يطعن صدرهُ بحربةٍ وحينئذٍ نخصمهُ ايضاً لكي لا يُعَدّ جباناً يفعل فعلهُ

اما دينهم فمبنيٌّ على عبادة السلَف يضيفون اليهم معبوداتٍ اخر كالشمس وسائر الارواح المتسلطة على المنظورات وغير المنظورات وربما عبدوا بعض الحيوان المقدس كالكلب والثعلب . وينتحلون مع ذلك مذهبين آخرين وهما مذهب كنفوشيوس ومذهب بوذا اخذوا الاول عن اهل الصين وهو عندهم مخصوص بالعلمآء كما هو عند الصينيين واما

الثاني فادخلهُ بينهم الكوريون وهم يخلطون بينهُ وبين مذهبهم الاصلي فيكون في الهيكل الواحد أوثان لكلا المذهبين

اما الحكم عندهم فمن المطلق وهو جائر وشريعتهم دموية تعاقب على كل جريمةٍ بالقتل . وللمملكة رئيسان احدهما ديني ويسمى الميكادو والآخر مدنيّ ويسمى الكوبو والتيكُون وكان الميكادو قديماً مستولياً على السلطتين معاً واليابان يعتقدون انهُ من سلالة الآلهة ويسمونهُ بالاله المتجسد وهو لا يعبد الاَّ الإلاهة تَنْسيون تايسين التي يزعم انهُ من نسلها . واول من يُذكَر في تاريخهم من هذه الطبقة زِين مُو وهو رأس السلالة الثالثة من ملوكهم وابن آخر ملوك السلالة الثانية وكان عهدهُ في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد واستمرّت السلطتان تتوارثان في اعقابهِ الى اواسط القرن الحادي عشر للميلاد واذ ذاك نشأ في المملكة رجلٌ عظيم من القوّاد يقال لهُ كيومري فجعل يضعف شوكتهُ الدنيوية الى ان نزع الملك من يدهِ واستقلّ بهِ ثم اقرّهُ في عقبهِ فكانوا يتوارثونهُ من بعدهِ خلفٌ عن سلف . وفي اواخر القرن السادس عشر قام قائدٌ آخر يقال لهُ تيكو ساما فاتمّ تحرير الملك من ربقة الميكادو وحصرهُ في الحدود الدينية وما ينتحلهُ لنفسهِ من النسب السماوي وبتيكو هذا سُمّي الحاكم الزمني عندهم بالتيكون

وفي اواسط القرن المذكور وفد البرتوغال الى اليابان كما تقدم ذكرهُ فابيح لهم ان ينزلوا بفيرَنْدو من جزيرة كوسيو ويتجروا في سائر انحاء المملكة فلم يمضِ على ذلك الا زمنٌ قصير حتى دخل نحو نصف اهل المملكة في الدين المسيحي على يد فرنسوا كزَفيَاسي اليسوعي وغيرهِ من دعاة اهل الدين

ونشأت في خلال ذلك اضطراباتٌ في المملكة على عهد تَيكو المذكور تداخل فيها بعض اولئك المرسلين بما اوغر صدور الحكام وارباب الدين من اهل البلاد فكان ذلك سبباً في طرد البرتوغال من المملكة وقيام اضطهادٍ شديد على النصرانية استمرّ مدة اربعين سنةً وقتل خلقٌ لا يُحصى في مذبحةٍ حدثت سنة ١٦٣٧ وعلى اثر ذلك سُنّت الاحكام الشديدة القاضية بمنع دخول الاجانب الى المملكة كلها ما خلا جماعةً من الهولنديين اظهروا لهم المودّة والممالأة فعزلوهم في جزيرةٍ صغيرة يقال لها دشيما ولبثوا يتعاطون التجارة في البلاد

وفي سنة ١٨٦٣ حدثت ثورة اخرى في المملكة كان من اعقابها ان تحالف الميكادو واشراف الأمّة على التيكون نخلعوهُ من الملك وردّوا الحكم الى الميكادو ومذ ذاك أُطلقت ثغور البلاد للاجانب فتواردوا اليها من آفاق اوربا واميركا وكان عن مخالطتهم لهم ما نبّه اليابان للاقتداء بالحضارة الاوربية ونهوضهم هذه النهضة السريعة التي لم يُسمَع بمثلها . وقد أُحصيت مدارسهم سنة ١٨٨٢ اي بعد اقلّ من عشرين سنة من ذلك الموعد فكانت ٢٨ الف مدرسة منها نحو ١٧ الف مدرسة عمومية و ١١ الفاً خصوصية والمدارس العليا من الاولى ١٠٧ ومن الثانية ٦٧٧ وذلك ما خلا الكتاتيب الكثيرة المنتشرة في انحاء المملكة . وبلغت مكاتبها العمومية سنة ١٨٨١ احدى وعشرين مكتبة يتردد اليها نحوٌ من ١١٠ آلاف مطالع . وقد وقفنا على احصاء للمدرسة الجامعة الملكية عن سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٣ فكان عدد اساتذتها في جميع العلوم ١٧١ استاذاً منهم ١٥٥ من اليابان و ١٦ من

الاجانب وعدد الدارسين ١٦٨٧ منهم المتخرجون في الندوة العلمية بعد ختم جميع الدروس وعددهم ٥٣ والبقية ما بين طلبة العلوم الشرعية والطب والحِيَل اسيء الميكانيك والبلاغة والعلوم الطبيعية والزراعة • ويدخل تحت العلوم الشرعية حقوق الدول وتحت الطب علم الصيدلة وتحت الحِيَل بناء الجسور والسفن والاستحكامات الحربية والكهربائية والهندسة والكيميآء العمليتان والبارود والمناجم وتحت علوم البلاغة الفلسفة العقلية والتاريخ واللغة وبعض اللغات الاجنبية وتحت العلوم الطبيعية الرياضيات والهيئة والفلسفة الطبيعية والكيميآء وعلم الحيوان والنبات وطبقات الارض وتحت الزراعة غراسة الغابات وتربية الحيوان • ويقضي الطالب في كل واحد من هذه الاقسام ثلاث سنوات الا في العلوم الشرعية والطب فاربعاً • ويتبع هذه الجامعة مستشفيان ومرصد فلكي ومرصد للزلازل ومحطة بحرية وحديقة نبات ومستشفى بيطري ومحل لتربية دود القزّ ودار عاديّات ومكتبة تشتمل على نحو ١١٠ آلاف مجلد بين ياباني وصيني ونحو ٩ آلاف مجلد في اللغات الاجنبية

اما صنائع اليابان فقد بلغت النهاية في الحسن والاتقان وقد كان لهم في المعرض الاخير بباريز ما ادهش زوّار المعرض من جميع طوائف اوربا حتى قال بعض كتابهم انهُ في هذه المرّة قد ارتفع لاوربا طرفٌ من الحجاب الذي كانت مستترةً وراءهُ مزية الشرق الاقصى وما فيهِ من العقول الذكية والنفوس النيّرة • وابدع ما اشتهروا بهِ المصنوعات المعدنية من النحاس والحديد والفولاذ وسيوفهم لا يفوقها الا السيوف الخراسانية ولهم التفنن

العجيب في المنسوجات من القطن والحرير مما أُعجبَ بهِ اهل الصناعة في اعظم معامل اوربا ومثل ذلك التصوير والحفر وعمل الغضار الصيني وطرائف العاج وغيرهِ من المصنوعات الدقيقة . على انهُ لا يُنكَر ان من تلك الصنائع ما اخذوهُ عن غيرهم كالتصوير بالزيت فانهم ارسلوا اناساً منهم تعلموهُ في باريز ومونيخ وكذلك صناعة الطراز فانهم اخذوها عن اهل الصين واخذوا صناعة الغضار عن اهل كوريا وصناعة التعدين عن البرتوغال الا انهم في كل ذلك برعوا وفاقوا حتى كانوا في بعضها اطول باعاً من اربابها . اما الصناعة التي اصبحوا فيها نسيج وحدهم بلا معارض فهي صناعة نقش المنسوجات وقد كان من هذه الصناعة في خزائن التروكادِيرُو من نحو البَروانات(١) والمراوح والشُقَق التي تزان بها الجدران ما يستوقف الناظر عجباً حتى انهم يقلدون ريش الطير بكل دقتهِ ولطافتهِ ويمثلون ملاعب النور في شعر الحيوان وتدرجات الالوان في الازهار كل ذلك بما لا يتميز عن المنظر الطبيعي

ومن معروضاتهم في التصوير ثلاث صورٍ مثلوا بها تاريخ اليابان في الثلاثين سنةً الاخيرة احداها لسنة ١٨٧١ حين كانوا في اوائل عهد نهضتهم وحين كان الاعتماد فيها على ارشاد الاوربيين وهي في زيّ اوربي . والثانية لسنة ١٨٧٤ حين اصبح العمل معقوداً بهمم اهل البلاد واجتهادهم وهي في زيّ ياباني . والثالثة لسنة ١٨٨٧ وهو الزمن الذي اصبح الياباني فيهِ عديلاً للاوربي وهي في لباسٍ نصفهُ اوربي والنصف الآخر ياباني

---

(١) جمع بَرَوان بوزن كرَوان وهو الواحٌ عريضة مغشاة بورق او نسيج يناط بعضها الى بعض بمفاصل تحرك حولها يقصد بها حجب الهواء (معرّب Paravan)

هذا طرفٌ يسير مما وصلت اليهِ اليابان في علومها وصنائعها ولو شئنا ان نروي كل ما اتصل بنا من وصف هذه الامة وما بلغت اليهِ لوقتها الحاضر لطال بنا القول الى ما لا يسعهُ هذا المقام غير اننا نقول ان اليابان اليوم لا تنحطّ عن اعظم مملكة من ممالك اوربا وقد ادركت هذه المنزلة في اقلّ من نصف قرن من امتزاج اهلها بالاوربيين واخذهم عنهم . وهذا ولا شك مما يدل على تناهي هذه الامة في اليقظة والاقدام وعلوّ المدارك وكمال الاستعداد لتناول اسباب الحضارة والعلم الا ان هذه كلها من الصفات التي لا يتجرد عنها سواهم من ابنآء الشرق وعلى الخصوص اهل هذه الديار ممن كانوا بالامس اساتذة الحضارة ورافعي لوآئها على آفاق العالم القديم باسرهِ وهؤلآء الاوربيون عندنا منذ قرنٍ كامل لم تفتنا منهم قدوةٌ ولم يألونا تبصيراً ولا حثّاً على الاقدام ومع ذلك فانا لم نكد ننتقل عن موقفنا الا بما دلّ على اننا من ابعد الناس عن قبول التمدن الصحيح . فبقي ان للامر سبباً غير ما ذكر من الاسباب الفطرية وهو ما نتوقع الكشف عنهُ من ارباب الاقلام لعلّ فيهِ تبصرةً لبعض القوم عندنا والله المسؤول ان يهدينا الى السبيل الاقوم وهو حسبنا

الكهربائية في الزراعة

بقلم حضرة الاديب امين افندي كرم من خرّيجي المدرسة الزراعية المصرية

قرأت في الجزء الاخير من السنة الثالثة لمجلتكم الغرآء نبذةً تحت هذا العنوان ذكرتم فيها فوائد الكهربائية في الزراعة فمن لي ان اذيّل تلك

النبذة بفائدةٍ اخرى للكهربائية لا تقل عما ذكرتموهُ تأثيراً في انماء النبات وانضاج الثمر وهي استعمال النور الكهربائي لانهُ اقرب الانوار كلها الى ضوء الشمس من حيث اللون وقوّة الاشعة فهو يفعل فعلهُ على النبات

اما تأثير ضوء الشمس في النبات فهو في المكان الاول من الاهمية اذ لا فائدة للنبات بدونهِ و بيان ذلك ان النور يولّد في اعضاء النبات وخصوصاً الاوراق ما يدعونهُ بالكلوروفيل وهو المادّة الملوّنة التي بواسطتها وبوجود النور يتناول النبات الحامض الكربونيك من الهواء ثم يحلّلهُ الى اكسيجين وكربون فيدفع الاول بالتنفس ويبقى الثاني في جوفهِ فيستحيل الى موادّ نشائية وموادّ اخر عضوية كسكرية وزيتية وغيرها مما يأول الى تركيب الحبوب والثمار تبعاً لانواع المزروعات واستعدادها . وهذان الامران اي التحليل والاستحالة انما يحصلان نهاراً اي بفعل النور واما في الليل فلا يقوى النبات على تحليل الهواء ليأخذ الكربون الذي هو قوام غذائهِ بل بعكس الامر اي يمتصّ الاكسيجين ويدفع الحامض الكربونيك فيكون في ذلك على حدّ ما يفعل الحيوان وبالتالي يتوقف عن العمل فيستريح بالليل من عمل النهار . ويدل على ذلك ان النبات اذا نما في ظلمةٍ تامة يجيء شاحب اللون لعدم تولد الكلوروفيل ولا يتكوّن فيهِ نشاء ولا ثمر واذا اخذنا نباتاً قد عاش في النور ثم وضعناهُ في ظلمةٍ تامةً فقد يثمر غير ان وزنهُ ينقص عوضاً عن ان يزيد . وعليهِ فلو تسنى للنبات ان يعمل بالليل ايضاً لأتمّ بالطبع عملهُ في اقلّ مما يلزمهُ من الزمن لوكان يعمل نهاراً فقط . ولتحقيق ذلك اخذ بعض علماء هذا الفنّ يبحثون عن طريقةٍ يتمكنون بها

من حمل النبات على ان يعمل زيادةً عن حدهِ الطبيعي أي ان يعمل نهاراً وليلاً بغير انقطاع للتعجيل في نضج ثمرهِ قبل اوانهِ . ولما كان النور هو العامل الاقوى في تميم وظائف النبات اخذوا في امتحان التجارب المتنوعة فاعدّوا لهُ غُرَفاً خصوصية ينفذها ضوء الشمس نهاراً وتُنار فيها الشموع او غيرها من انواع المصابيح ليلاً وبعد تكرار الاختبار تبين لهم ان المصابيح الكهربآئية هي التي تكفل بهذا الغرض لمشابهتها لضوء الشمس على ما اسلفنا بيانهُ . ولما تحقق لهم ذلك اخذوا يقيمون البيوت الكبيرة المعروفة عندنا باسم « الصوبة » للفواكه على انواعها ينيرها شمسان الطبيعية والصناعية فتنضج الثمار في مدةٍ لا تزيد كثيراً على نصف ما يلزم من الزمن لنضجها الطبيعي وهي تُهدَى للملوك والامرآء وتباع لندرتها باغلى الاثمان مما يعود على اربابها بالربح الطائل من انزه الوجوه واشرفها

ويحسن بي في هذا المقام ان اوجهّ التفات نظارة المعارف الجليلة الى هذا الامر واقترح عليها تخصيص مبلغٍ زهيد يُنفَق على انشآء صوبةٍ واحدة في الاقلّ تقام في المدرسة الزراعية او المعرض الزراعي او في موضعٍ آخر من هذه المدينة تراهُ موافقاً تنيرها بالكهربآئية لاجرآء مثل هذه التجارب التي تعود بالنفع العظيم على ابنآء المدرسة الزراعية وبالتالي على مزارعي القطر باجمعهِ حتى لا يقال انها تضنّ بالقليل وهي التي تجود بالالوف على ما من شأنهِ تثقيف العقول وتنوير الاذهان (كذا) فضلاً عما يكون لذلك من التأثير المعنوي في حياة مصر الزراعية الحديثة النشأة ولا سيما ان ساعدنا الاتفاق واكتشفنا بعد البحث والتجارب مفعولاً جديداً للكهربآئية في

الزراعة وليس ذلك من الامور المستبعدة فان الاكتشاف ابن البحث والتجربة ام الاختراع

وللنور ايضاً فعلٌ حِيَلي اي ميكانيكي يؤثر على انابيب (عُقَل) النبات بأن يؤخر نموها قليلاً ودليل ذلك انهُ اذا نمت نبتةٌ في الظلام فليس فقط انها تظهر شاحبة اللون لعدم تولّد الكلوروفيل كما تقدم بل الانابيب ايضاً تكون اطول مما لو نمت في النور ولذلك اذا وضعت نباتاً في مكانٍ يدخلهُ النور من مكانٍ واحد ترى ان النبات ينحني الى جهة النور وسببهُ ان النور يؤثر على الجهة المعرَّضة لهُ فيؤخر نموها قليلاً اما الجهة المقابلة من الساق التي هي اقل تعرضاً للنور فيكون نموها اعظم فينشأ عن هذا الاختلاف في النمو انحناء الساق . وهناك دليلٌ آخر نراهُ كل يوم وهو ان رؤوس الاشجار تنحني غالباً الى جهة الجنوب انحناءً يدركهُ من يلاحظهُ من اول نظرة والسبب في ذلك هو ان الخط الذي تقطعهُ الشمس في الظاهر هو اميل عندنا الى الجهة الجنوبية تبعاً لموقعنا من خط الاستوآء فتكون بالطبع اشعة النور الواقعة على الشجرة من هذه الجهة اكثر منها في الجهة الثانية فتنحني اعاليها قليلاً الى الجهة الجنوبية لما اوضحناهُ ويُعرَف هذا الانحناء عند النباتيين باسم الهليوترويسم اي الانعطاف نحو الشمس . غير انهُ قد يتفق ان ينحني ساق النبتة او رأس الشجرة الى الجهة المخالفة ويُعرَف بالهليوترويسم السلبي والاظهر فيما اظن ان سببهُ الرياح . ومما يلطف ذكرهُ هنا ان الفلاحين في بعض بلاد اوربا واميركا اذا غابت عنهم معرفة الجهة في اثناء سيرهم في الغابات الكثيفة يقطعون ساق شجرة ويتخذون من شكل

بناَئها دليلاً على الجهة لان مركز الساق يكون أميل الى الجهة الجنوبية لقلة النموّ هنا فيقوم لهم ذلك مقام الابرة المغنطيسية والله اعلم

الزّبرُغراف والتّيلُوتغراف

لا يخفى ان التلغراف كان في اول اختراعهِ يؤدي الرسائل باشاراتٍ يتناولها العامل بالبصر ثم تمرّ من امامهِ ويخلفها غيرها بغير ان تترك اثراً فيُضطرّ ان يرسم مفاد كل اشارةٍ بيدهِ الى ان تفرغ وعلى هذا كان التلغراف الإبريّ والتلغراف الميناويّ على ما سبق لنا الايماَء اليهِ في بعض اجزاَء السنة السالفة . ولا يخفى ما في ذلك من النقص بحيث انهُ لو شك العامل في كلمةٍ او حرف اوسها عن رسمها لم يجد سبيلاً الى مراجعتها واستثباتها فضلاً عما يمكن حدوثهُ في مثل هذا من الغلط في تناول الاشارات . ولذلك اجتهد العلماَء ان يستبدلوا الاشارات برسمٍ ثابت ترسمهُ الآلة نفسها وبعد طول البحث والتجربة توصلوا الى اختراع آلةٍ ترسم الحروف الهجاَئية اما برسومٍ رمزية من خطوطٍ ونقط تدل عليها بالاصطلاح وهو اختراع مُورْس واما بطبع الحروف بصورتها المتعارَفة وهو اختراع هوغ الا ان الاختراع الاول اسهل مراساً واقلّ كلفةً ولذلك عمّ استخدامهُ في جميع الممالك . لكن بقي فيهِ انهُ لا يقرأ حروفهُ الا من عرف سرّها ودرس رموزها فلم يكن بدٌّ في كل رسالةٍ ان تُنسَخ بالخط المتعارَف لتمكن قرآءتها وقد يقع في نسخها خطأٌ او تحريف عمدي وفي ذلك من الضرر ما لا يخفى ولذلك كان لا يزال في الانفس شيءٌ من الحاجة الى اتمامهِ على وجهٍ تنتفي فيهِ

هذه النقائص . وقد تجرّد كثيرٌ من اهل العلم لهذا الامر وانفقوا فيهِ السنين الطوال بغير ان يحصلوا على طائل الى ان برز الاختراعان المذكوران في عنوان هذه النبذة من عهد قريب وأحدهما مكملٌ لتلغراف هوغ وما كان على اصطلاحهِ وسُمّي بالزّيرُغراف والثاني مكملٌ لتلغراف مورس وسُمّي بالتيلُوتُغراف

اما الزّيرُغراف فيرسم الحروف بواسطة آلةٍ من آلات الكتابة المعروفة ومخترعهُ واحدٌ من علماء الكهربائية يقال لهُ المسيو كامّ . وهو مؤلفٌ من جهازين متماثلين يجمع بينهما سلكٌ كهربائي ويمكن ان يُستخدَم كلٌ منهما مرسلاً وقابلاً والحروف تنطبع في كلٍّ من مكان الارسال ومكان القبول فتكون المراسلات مسجلةً في الجانبين . وهو سهل الاستخدام لا يقتضي شيئاً من المهارة عند العامل لانهُ لا يزيد على استعمال آلة الكتابة المعتادة بخلاف تلغراف هوغ فان استعمالهُ يقتضي دقةً وخبرةً وطول مراس بحيث ان العامل لا يحسن الاشتغال بهِ الا بعد ممارستهِ اشهراً فضلاً عما يعرض لهُ من التعطيل في بعض اجزائهِ وما يحدث فيهِ من الاختلال في اداء الرسائل . واول ما عُرض هذا الاختراع في الجمعية الملكية بلندرا سنة ١٨٩٧ ثم امتُحن في سكة حديد جُنُفرُ و بسويسرا وامتحنتهُ عدةٌ من الشركات التلغرافية كشركة روتر وغيرها

واما التيلُوتُغراف فينقل الرسائل بنفس خط الكاتب بحيث ان الرسالة التي تكتَب في مصر مثلاً تبلغ الاسكندرية او الآستانة في الوقت نفسهِ مرسومة بصورتها التي جرى بها قلم الكاتب ويعرف منها خطهُ ويمكن بهِ

نقل الرسوم والهيئات والعلامات الموسيقية بكل ضبط على ما رسمها المراسل . واول من اهتدي الى هذا الاختراع المسيو كازلّي وقد عرض آلةً منهُ في معرض باريز سنة ١٨٦٧ سماها بالپانتلّغراف فكانت موضعاً لاعجاب الجماهير ممن شاهدها في ذلك الحين الا انها لم تكن خليقةً بالاستعمال لنقصٍ كان لا يزال فيها ومذ ذاك اخذ ارباب هذا الشأن يزاولون اتمامها واشهر من اشتغل بها واحدٌ من علمآء الكهربائية يقال لهُ اليشع غرّاي قضى في معالجتها نحواً من عشرين سنةً ثم تناولها من بعدهِ واحدٌ من خرّيجيهِ يقال لهُ المسيو رِتشي فاوصلها الى حدّ الكمال

وهذه الآلة تتألف من جهازين كهربائيين احدهما مرسل والآخر قابل وبجانب الاول مائدة فوقها دَرْجٌ ملفوف من الورق يحلّ من احد طرفيه فيتناول الكاتب طرف الورق ويكتب عليهِ بقلم رصاص متّصل بالآلة وفي الجهاز القابل قلم آخر من المعدن تصل اليهِ حركة قلم الرصاص فيرسم على ورقةٍ اخرى هناك طبق ما رسم الكاتب . وهذان الجهازان يصل بينهما سلكان من اسلاك التلفون تنشأ عليهما الدائرة الكهربائية وينقلان الحركة من احد المركزين الى الآخر ولذلك تكون هذه الآلة من تتمة المراكز التلفونية . وقد شرعت ادارة البريد والتلغراف في فرنسا في اختبار هذا الاختراع وتحقُّق موضعهِ من الاستعمال واذا وقع قرارها على اعتمادهِ فليس ثمة الا ان تضيف جهازهُ على الاسلاك التلفونية فتستخدَم للتلغراف والتلفون جميعاً

الخضاب

ولا يصلح العطّار ما افسد الدهرُ

يروم الانسان ان يبقى في شبابٍ دائم ولو صح ذلك لجاز ان لا ينتقل عن الطفولية الى المراهقة ولا عن المراهقة الى الشباب ولكن للوجود سنناً لا يتعداها وللبنية اطواراً لا تخرج عنها وكل طورٍ مؤلفٌ من احوال لا يكون احدها الا مع صاحبهِ كالجسم لا يتمّ الا بمجموع اعضائهِ . فاذا شاب الشعر كان معنى ذلك الشيب في سائر البنية لحدوثهِ عن سببٍ يعم الاعضاء بجملتها والشيب احدى نتائجهِ وواحدٌ من ادلتهِ ومن ظن ان الشيخوخة تخفى تحت الخضاب فقد خدع نفسهُ من حيث يظن إنهُ يخدع غيرهُ لانها تظهر في تحول الجلد وتثنّي البشرة وانما تخفى عن نظر الاحسر ومن لا يتعدى تمييزهُ الفرق بين السواد والبياض

على انك اذا اعتبرت الامر في نفسهِ وجدت ان سواد الشعر والحالة هذه يكون من المشوّهات لان الجمال في التناسب والمحاسن من طبعها ان تفضح المساوئ فلا رأي للعاقل في الجمع بينهما . الا ترى انك لو عمدت الى المنزل الخَرِب الذي قد اخذت منهُ السنون واكلتهُ الرياح والامطار فطليتهُ بالاصباغ الجميلة والالوان الزاهية تزيد قبحهُ ظهوراً وعيوبهُ وضوحاً ولو تركتهُ بحالهِ كان في تناسب جملتهِ ما يشفع في عيوب تفاصيلهِ وقد لا يخلو من وقعٍ في عين من يجلّ الآثار القديمة وعبرةٍ لمن يتّعظ بفعل الدهر ... وان شئت ان تمثل قبح هذه الحال فانظر الى نقيضها في بعض المتهالكات

على طلب الجمال اللواتي استنفدنَ ذرائع التحسين فانتهين الى ان يصبغنَ شعرهنَّ بالبياض ترَ هناك قبح الجمع بين مظهرَي الشيخوخة والشباب . ومثلهنَّ الشُقر اللواتي يصبغنَ شعرهنَّ بالسواد فانهُ وان لم يكن هناك تنافٍ في مظهر السنّ فان لكل لونٍ من الشعر لوناً من الجلد فيكون صبغ الاشقر شعرهُ بالسواد كما لو صبغ الزنجيّ شعرهُ بالشُقرة

هذا في اعتبار الذوق واما في الاعتبار الصحيّ فان اكثر اصباغ الشعر لا تخلو من سموم مؤذية تضرّ بالشعر والجلد وربما تعدّى ضررها الى صحة الجسم عموماً فقد ذكر المسيو لابُرْد احد اكابر اطباء الفرنسيس انهُ كان يعالج امرأةً من هزالٍ كان قد ظهر عليها منذ سنةٍ انحلت بهِ انحلالاً شديداً فنقص وزنها في مدة شهرين او ثلاثة عشرة كيلوغرامات وفقدت شهوة الطعام ولازمها عسر الهضم وكانت تشكو من صداعٍ دائم ونُوَبٍ يشتدّ معها الصداع ويصحبهُ قيء موادّ مخاطية يستمرّ اليوم بطولهِ وكانت اجفانها حمرآء شديدة التهيج . فعالجها بما تعالج بهِ المعدة لظنهِ ان مجلس العلة هناك فلم يفلح ولما عجز عن شفآئها عمد الى معالجتها بالحقن تحت الجلد لتسكين الالم

وكانت هذه المرأة في سن الخمسين الا ان شعرها اسود فاحم فاتخذ من هنا بعض الدليل وسألها فاعترفت بدون تردد انها تستعمل خضاب الشعر فأمرها بترك هذه العادة فلم يأتِ عليها الا ايامٌ قلائل حتى انقطعت تلك الاعراض بأسرها وعادت المرأة صحيحة الجسم . قال فبقي على الطبيب ان يتنبه اول كل شيء الى امر هذا الخضاب اذا كان الشخص ممن اعتادهُ ولا سيما ان هذه العادة فاشية في كل مكان حتى ان الذين يركبون هذا

الصبغ (يعني في فرنسا) يبيعون منهُ لا اقلَّ من خمسين الف قنينة في السنة

وقد ذكرت المجلة العلمية الفرنسوية نقلاً عن المسيو إيڤون ان جميع اصناف الخضاب ذات خطر من المركبات التي قاعدتها الرصاص او نترات الفضة (حجر جهنم) او التي قاعدتها النوشادر واملاح الفضة الى المركبات التي قاعدتها بيكرومات البوتاس وخشب البَقَّم . وقال المسيو ترُسّار انهُ ليس في انواع الخضاب ما لا خطر فيهِ الا الحنّآء على انهُ ليس خالياً من الاذى على الاطلاق كما هو الشائع عنهُ ولا سيما في هذه الايام التي كثر فيها الغشّ في كل شيء . واقلّ خطراً منهُ الخضاب الذي قاعدتهُ البزموت وايبوسلفيت الرصاص لكنهُ بطيء التأثير ولونهُ ليس بالاسود الجميل . والذي عندنا ان مجاراة الطبيعة اسلم واجمل فان للثمر في اوانهِ جمالاً ليس دون جمال الزهر في ابّانهِ وكرامة المشيب اغلى من جمال الشبيبة وما احسن ما قال المتنبي

افدي ظبآء فلاةٍ ما عرفنَ بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ
ولا برزنَ من الحمّام ماثلةً ... اوراكهنَّ صقيلاتِ العراقيبِ
ومن هوى كل من ليست مموّهةً ... تركتُ لون مشيبي غير مخضوبِ
ومن هوى الصدق في قولي وعادتهِ ... رغبتُ عن شَعَرٍ في الرأس مكذوبِ

العوَد الى ما قبل برج بابل

استأنف بعض العلمآء في هذه الايام البحث في وضع لغةٍ عامةّ يتفاهم بها جميع طوائف الارض لما يجدون من الضرورة اليها في المواصلات العلمية والتجارية وغيرها وهو خاطرٌ قديم اشتغل بهِ كثيرٌ من العلمآء ووضع

بعضهم الفاظ هذه اللغة وقواعدها منذ سنوات وسمّاها بالفولا بك الا انها لم تشع ولم تلبث ان طوتها الايام فيما طوتهُ من آثار الاولين . وقد رفع بعضهم في هذه السنة الى ندوة العلوم في باريز اقتراحاً يطلب فيهِ اعادة البحث في هذه المسئلة الخطيرة موقعاً عليهِ باسمآء نحو عشرين عضواً من اعضآء الندوة ووافق على هذا الاقتراح عددٌ غفير من العلمآء والاساتذة في باريز

وقد افاضت الندوة في الكلام على هذه المسئلة فذكر المسيو سيبرت جماعةً ممن اشتغلوا بها من مشاهير المتقدمين والمتأخرين منهم باكون وپسكال ولبنز ومكس مولر وغيرهم ووصف لغةً من هذا القبيل وضعها الدكتور زمنهوف ذكر ان العارفين بها على حداثة عهدها يربون على اربعين الفاً . ونقل المسيو ميرِي عن ليو تولستوي الشهير انهُ بعد درسها ساعتين صار يحسن القرآءة فيها ثم ذكر عن نفسهِ انهُ بعد مزاولتها اسبوعين صار ينشئ بها المقالات وانهُ في مدة سنة اي منذ شهر مارس من سنة ١٩٠٠ الى مثلهِ من هذه السنة تلقى ١٣٢ رسالة بهذه اللغة في شؤُونٍ مختلفة من ٥٢ كاتباً من سكان العالَمين القديم والجديد منهم روس وبولونيون وبلغار واسبنيول وطليان وبرتوغال واسوجيون وانكليز وغيرهم وانهُ اجاب الجميع بسهولة لم تُعهَد . فما احرى هذه اللغة بان تسمى لغة العلّية الصهيونية

الحَسَر

المراد بالحَسَر قصر البصر وهو من الآفات التي تصيب الدارسين واصحاب الصنائع الدقيقة واكثر ما تكون في تلامذة المدارس . وقد وقفنا

على الاحصآء الآتي لبعض اطبآء الالمان احصى فيه عدد المصابين بهذه الآفة من تلامذة ٣٣ مدرسة مختلفة الطبقات فكانوا على ما يأتي

من تلامذة	٥	كتاتيب قروية	١٬٤	٪
« «	٢٠	مدرسة ابتدائية	٦٬٧	٪
« «	٢	عاليتين للبنات	٧٬٧	٪
« «	٢	متوسطتين	١٠٬٣	٪
« «	٢	اعداديتين	١٩٬٧	٪
« «	٢	لتعليم اللاتينية	٢٦٬٢	٪

وكان عدد الذين فحصهم ١٠٠٦٠ تلميذاً ومجموع المصابين بالحسر ١٠٠٤ فيكون المعدل ٩٬٩ في المئة

والذي يتحصل من هذا الاحصآء اولاً أن الحَسَر في الكتاتيب القَرَوية اقل كثيراً مما هو في غيرها . ثانياً ان عدد الحُسر في المدارس المدنية يزيد مع الارتفاع في سلَّم الطلب لزيادة إعمال البصر

ومما تبين للطبيب المشار اليهِ ان هذه الآفة تتفاوت في المدرسة الواحدة بين حلقةٍ واخرى وان اعظم درجات الحَسَر تكون في السنين الاولى من دخول المدرسة

—﴿ مسئلة السل الرئوي ﴾—

تقدم لنا في الجزء السالف ذكر الخلاف الذي نشأ في المؤتمر الطبي بلندرا على اثر الرأي الجديد الذي صرّح بهِ الدكتور كوخ في امر عدوى

السل وقد جآء في بعض المجلات الاخيرة انهُ للفصل في هذه المسئلة صدر امرٌ عالٍ بان تُعقَد في انكلترا لجنةٌ طبية يوكل اليها ان تبحث وتقرر ما ينتهي اليهِ بحثها في الامور الآتية

(١) هل السل الحيواني والسل الانساني واحد

(٢) هل يمكن انتقال السل الرئوي من الحيوان الى الانسان ومن الانسان الى الحيوان

(٣) واذا كان ذلك ممكناً فكيف يتم هذا الانتقال من الحيوان الى الانسان وما الاحوال التي تهيئهُ والذرائع التي يقاوَم بها

وهذه اللجنة مؤلفة من خمسة من اساتذة علم الامراض احدهم من علمآء الطب البيطري وَيرأسها البروفسور ميخائيل فوستر

متفرقات

غريبة — رُفعت الى احدى المحاكم الانكليزية دعوى في وصيّة ميت ودُعي شهود القضية فكان فيهم واحد سُئل هل لهُ اخوة فقال انهُ كان لهُ اخٌ توفي منذ ١٥٠ سنة . فظن رجال المحكمة انهُ يمزح وامروهُ بالجدّ في حديثهِ احتراماً للمقام فبرهن لهم على صحة ما يقول وكان الامر على ما ذكر . وذلك ان اباهُ تزوج ولهُ من العمر ١٩ سنة فوُلد لهُ ولد ومات في السنة نفسها ثم ماتت زوجتهُ على الاثر فلبث أيِّماً اي بغير زوجة حتى بلغ عمرهُ الخامسة والسبعين ثم تزوج مرةً اخرى فوُلد لهُ

الشاهد المذكور وكان حين اداء الشهادة ابن اربع وتسعين سنة . فاذا أُضيف ٩٤ الى ٥٦ وهي السنون التي عاشها ابوهُ من حين موت الولد الاول الى زواجهِ الثاني اي من سن ١٩ الى سن ٧٥ كان المجموع ١٥٠ سنة

اسئلة واجوبتها

بيروت — انقول ليس زيدٌ قائماً بل قاعدٌ ام بل قاعداً وكيف يُعرَب قاعد على الوجهين . ثم كيف نفهم ما جاء في تاج العروس في الكلام على بل حيث يقول « واجيز ان تكون ناقلةً معنى النفي والنهي الى ما بعدها فيصحّ ما زيدٌ قائماً بل قاعداً وبل قاعدٌ » فهل المراد ان معنى الاول ليس قائماً ولا قاعداً ارجو الافادة عن ذلك كلهِ ولكم الفضل

مستفيد

الجواب — اما في المثال الاول فيجوز الرفع والنصب على السواء والرفع على اضمار مبتدأ محذوف اي بل هو قاعدٌ والنصب على العطف وهو ظاهر وعلى كليهما تكون بل لتقرير ما قبلها على حالهِ وجعل ضدّهِ لما بعدها. واما ما جاء في تاج العروس من انهُ اجيز ان تكون ناقلةً معنى النفي والنهي الى ما بعدها فهو من التوسعات التي تحتملها الصناعة وان اباها الاستعمال فاذا قيل ما زيدٌ قائماً بل قاعداً فالمعنى على هذا بل ما هو قاعداً لان ما الحجازية لا تعمل مع انتقاض النفي فوجب تقديرها بعد بل لتصحيح النصب وحينئذٍ تكون بل حرف ابتداء لا عاطفة ويكون ما قبلها كالمسكوت عنهُ

مثلهُ في قولك زيدٌ شاعرٌ بل كاتبٌ . واما اذا لم يكن الكلام على هذا التقدير اي اذا لم يكن ما بعد بل منفياً وهو المشهور والذي عليهِ الاستعمال فلا كلام في وجوب الرفع بعدها وهو ما اشار اليهِ بقولهِ وبل قاعدٌ . وانما صحَّ النصب بعد ليس مع انتقاض النفي ولم يصحَّ بعد ما لان ما انما تعمل لمشابهتها ليس في النفي فاذا انتقض زال الشبه فلم يبقَ وجهٌ للعمل وبخلافها ليس فانها تعمل للفعلية وهي ثابتة مع النفي وبدونهِ فيبقى عملها في الحالين

آثار ادبيّة

تاريخ الامير حيدر الشهابي — هو التاريخ المشهور الذي طالما تاق المطالعون الى الوقوف عليهِ لقلة نسخهِ وعزة الحصول على الموجود منها وقد عني بطبعهِ في هذه المدة حضرة الاديب نعوم افندي المغبغب حرصاً على احيآئهِ وافادةً لطلاب هذا الفن بما فيهِ من صحيح الاخبار وحكاية الحوادث التي طواها كرور الايام ولا سيما ما يتعلق منها بالديار الشامية والمصرية . وهو يبتدئ من مولد صاحب الرسالة الاسلامية وينتهي بموت الامير بشير الشهابي الكبير حاكم جبل لبنان مع بيان ما تخلل هذه المدة من الحوادث الخطيرة وما تعاقب فيها من الدول الى ما يتصل بذلك من طرائف الاخبار ونوادر العبر

والكتاب كبير الحجم يقع فيما يزيد على الف صفحة متوسطة وهو يباع في مطبعة السلام وفي اشهر مكاتب القاهرة وثمنهُ مجلدًا ثمانية عشر فرنكاً خلا اجرة البريد .

فكاهات

آخر حياتي في مصر[1]

قال الراوي

ارسلني والدايَ منذ حداثتي الى انكلترا لأتلقى العلوم الطبية فعكفت على درسها و بعد ان قضيت فيها السنين القانونية ونلت الشهادة المؤذنة باحرازي فيها قصب السبق عزمت على ان اقيم سنتين في احد مستشفيات انكلترا اتمرّن على العمل قبل ان اشرع في تعاطي هذه الصناعة

وتوفي والدي في هذه المدة وخلف لي املاكاً وعقارًا يبلغ ريعها السنوي ثماني مئة ليرة خلا ما يمكنني ان احصلهُ من مهنتي وهو لا يقلّ عن ضعفي هذا المبلغ ولكن ميلي الشديد الى اتقان صناعتي كان يدفعني الى طلب الشهرة ونباهة الذكر فصممت على ان اجري في طريق مشاهير الاطباء كباستور وكوخ وفريزر وسانارلي ومانسون وغيرهم طمعاً في تخليد اسمي بين اسمائهم. وكنت اثناء ايامي المدرسية قد ملت الى درس اصناف الحميات ولا سيما الحمى الوبالية (الملارية) ومنها نوعٌ خبيث عجز الاطباء عن شفائهِ. فخطر لي ان اقصر وقتي على اختبار هذا الداء وامتحان علاجهِ وتحققت اني سأنال اعظم شهرة اذا وُفقت الى وجود مضادّ لهُ كلقاح الجدري او مصل الخناق. وقد تبين لي بعد درسهِ ان جراثيمهُ تنشأ في المستنقعات العفنة وانهُ لا ينتقل الى الاصحاء عن طريق التنفس او اللمس كما يزعم بعضهم بل الموصل الوحيد بين جراثيمهِ الخبيثة والجسم الانساني انما هو صنفٌ من البعوض ذو تركيب خاصّ وجسم يختلف عن بقية اصنافهِ فهو يقتات بالجراثيم التي في المستنقعات وتختلط تلك الجراثيم بدمهِ فاذا لسع انسانًا دخلت في جسمهِ وخالطت دمهُ فوُجد

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فيهِ المرض في درجتهِ الاولى وهي في الغالب سليمة اما اذا اقتات هذا البعوض من جسم مصاب بالحمى المذكورة ثم لسع صحيحاً وُجد فيهِ للحال المرض في الدرجة الثانية وهي عزيزة الشفآء

ولا حاجة الى اطالة البيان في هذا الموضوع ولكن اقول ان همي الوحيد كان ان اجد مصلاً او شيئاً آخر اقاوم بهِ هذا الدآء في درجتهِ الثانية . و بلغني ان اشهر مكان تنتشر فيهِ جراثيمهُ ويكثر البعوض الناقل لهُ هو في بلدةٍ بضواحي رومية فوطنت عزمي على الذهاب الى هناك وجهزت نفسي بكل ما يلزمني لهذه الرحلة ولا سيما البيت المتنقل وهو مصنوع من سلك دقيق يختبئ فيهِ الانسان فيكون بمعزلٍ عن حمة البعوض القتال . وانتظرت حلول شهر اوغسطس لاسافر فيهِ لانهُ في هذا الشهر يبتدئ تقف هذا البعوض وانتشار جراثيم المرض

وكان بالقرب من منزلي في انكلترا بيتٌ يقطنهُ رجل يدعى الكولونيل دنزا ولهُ ابنةٌ وحيدة بارعة الجمال يقال لها راحيل لم ارَ في حياتي اجمل منها صورةً واتمّ منها آداباً فملت بكليتي اليها وصممت على اني ان تزوجت لم اتخذ غيرها قسيمةً لحياتي . ولما هممت بمغادرة انكلترا رأيت ان افاتحها في الامر وابوح لها بحبي وان آخذ عليها المواثيق بالمحافظة على عهدي الى ان ارجع فاقترن بها . وقبل سفري بيوم واحد توجهت اليها واسعفني الحظ ان وجدتها وحدها في البيت فجلسنا حيناً نتجاذب الاحاديث المختلفة وانا كلما هممت ان افاتحها في الغرض الذي قدمت لاجلهِ اجد في نفسي من الهيبة ما يمنعني من الخوض فيهِ حتى اذا اعياني ضبط ما يجول في صدري من ثائر الوجد كاشفتها بما في نفسي وتوسلت اليها ان تعدني بمقابلة حبي لها بالمثل وان تعطيني يدها علامة رضاها . ولكني ما كدت انطق بهذه الكلمات حتى كلل جبينها العرق البارد وصبغ وجنتيها الاحمرار ثم اجابتني بتمام السكينة والوقار قائلةً ارى لك ايها الدكتور ان تزيل من رأسك هذا الفكر فانهُ لا يمكنني ان ابادلك هذا الحب ويستحيل ان اكون زوجةً لك . فقلت واليأس يقطع احشآئي ولماذا ايها الملك الطاهر . قالت لانك لست بالرجل الذي اصطفاهُ قلبي لاشاطرهُ

حظ الحياة وان كنت أجلّ مقامك لما اعلم فيك من جميل الصفات ولذلك ارجو ان لا تفاتحني بعد الآن في هذا المعنى والاّ اضطررت ان اقفل بابي في وجهك . وكان في لهجتها ما يدل على انها بعيدة عن الاقتناع فقمت لانصرف وقد وطنت النفس ان لا احول عن حبها وان لا بد من الحصول عليها ولو جبراً

وفي اليوم الخامس من شهر اوغسطس سافرت الى ايطاليا وقصدت المحل الذي اخترتهُ لامتحاناتي وشرعت في العمل فكنت اقسم وقتي الى شطرين الواحد للعمل والثاني للافتكار في راحيل وتدبير السبيل للحصول عليها . وفي الشهر الثاني من وصولي الى رومية وصلني من راحيل الكتاب الآتية صورتهُ

« عزيزي الدكتور جورج ماتشن

لاعتقادي ان حصولي على السعادة يسرّك احببت ان اعلمك بهذا المختصر اني خُطبت لمالك فؤادي القبطان جيوفري شانن وسيتمّ اقتراننا عن قريب فادعُ لي بالهناء ولا تنسَ صديقتك راحيل دنزا »

فلما قرأت هذا الكتاب انقلب الضوء في عينيّ ظلاماً وقضيت ليلةً تتقاذفني فيها تيارات الغضب والحقد وحب الانتقام غير اني سكنت روعي وكتبت اليها باختصار اهنئها بهذا النصيب واتمنى لها سعادة العيش واود ان اكون حاضراً وقت زفافها . كتبت ذلك رغماً عن ارادتي والحقيقة ان نيران الحقد والضغينة والانتقام كانت تتأجج في صدري وقد صممت ان لا ادع القبطان ينال من راحيل قلامة ظفر وعقدت عزمي على ان احضر زفافها لا لأكون من شهود العرس بل لأكون انا نفسي عريسها لا سواي

وبعد اجهاد الفكرة تذكرت ابنة عمّ لي تدعى ماريانا فلتشر تعلم شيئاً من امر حبي ولها صداقة مع راحيل فكتبت اليها كتاباً حياً وسألتها عما تعلمهُ من احوال لندن واخبارها الحديثة وعلى الخصوص عن الكولونل دنزا وابنتهِ راحيل وأقمت اترقب رجوع البريد وانا على مثل النار من حرّ الانتظار الى ان عدت يوماً الى منزلي فوجدت عدة رسائل باسمي طرحتها جميعاً الى جانبٍ واخذت من بينها

واحدةً عرفتها من طابع البريد وخط عنوانها انها من ابنة عمي مريانا فاذا هي تقول فيها

« ابن العم العزيز الدكتور ماتشن

كنت اتمنى ان اعرف عنوانك لكي اكتب اليك فجآء كتابك في وقتهِ وللحال بادرت بهذا الكتاب لاقص عليك اخبارا عديدة لا اشك انها تهمك فاعلم ان راحيل دنزا قد خُطبت لفتىً آيةٍ في الجمال والكمال يدعى القبطان جيوفري شانن. اما امر خطبتها فغريب اقصهُ عليك بالاختصار. تعلم انني بعد موت والديَّ اخذني زوج خالتي السير ادمون ماربري وربانى عندهُ فكنت ولم ازل كابنتــهِ اتمتع بالخيرات الكثيرة والغنى الوافر واتنعم في قصرهِ الفخيم وحدائقهِ الغنآء اذ لا يخفى عليك ان المذكور يدخل عليهِ في السنة من ريع عقارهِ فقط ما لا يقل عن خمسين الف ليرة استرلينية. وللسير ادمون ابن اخ يدعى جيوفري شانن وهو خطيب راحيل الآن. ولم يكن للسير ادمون وارث الاّ جيوفري وأنا فقبل موتهِ اي منذ خمسة اشهر كتب وصاتهُ الاخيرة فوهب جميع املاكهِ واموالهِ ومقتنياتهِ لابن اخيهِ جيوفري بشرط ان المذكور يتزوج بمن اراد قبل اليوم الاول من السنة القادمة واذا لم يفعل حرم كل تلك الثروة وأُعطيت لي انا. فلما قرأنا الوصية رأيت انهُ اذا لم يتزوج جيوفري في الموعد المحدود اصبح انا ملكةً غنية يشار اليَّ بالبنان فتصورت نفسي حاصلةً على ذلك الغنى العظيم واسكرتني خمرة الفرح ولكنني ما لبثت ان ثاب اليَّ رشدي ورأيت ان وجود تلك الثروة في يد جيوفري يكون خيرًا من وجودها في يدي لانهُ اقدر مني على تدبيرها وتمنيت ان يتزوج ويحصل على تركة السير ولو خسرتها انا. اما جيوفري فكان يهرب من بنات حوآء هربهُ من الافعى وكلما فاتحهُ احد في امر الزواج اظهر النفور والاشمئزاز حتى كان يقول انهُ يؤثر ان يقضي حياتهُ فقيرًا على ان يتزوج ويصير ملكاً. واجتهدت انا خصوصاً في اقناعهِ فلم استطع وكلما ذكرت لهُ اسم فتاةٍ من الموسرات قدم عليها الف اعتراض. ولا تعجب يا عزيزي جورج من ذلك فان بنات اشرافنا كما تعلم قد اسرفنَ في الخلاعة والتهتك رغبةً في ارضآء الفتيان واستمالتهم وهنَّ لا يدرينَ انهنَّ بذلك يحملنهم على كراهتهنَّ

والانقباض عنهنّ ولا سيما اذا كانوا من اصحاب الذوق السليم والتربية الحسنة مثل جيوفري . وما زال جيوفري يمانع في الانقياد الى ان اجتمع اول مرة براحيل دنزا فافتتن بها وسحر بجمالها وادبها واحبتهُ هي ايضاً فتواعدا على الزواج .وترى الآن الاستعداد قائماً على قدم وساق في تجهيز لوازم العرس . ثم ازيدك ان الكولونيل دنزا والد راحيل يشكو من الم في صدرهِ وقد اشار عليهِ طبيبهُ ان يقضي الشتآء القادم في مصر فسيذهب اليها بابنتهِ وسأذهب انا وجيوفري معهما ايضاً في اواسط نوفمبر القادم . ومن المؤكد ان يتمّ زواج راحيل هناك لانهُ لا بد من حصولهِ قبل اول يناير فياليتك تكون هناك فنجتمع معاً والسلام عليك من ابنة عمك

ماريانا فلتشر »

فسرّني ما وقفت عليهِ في هذا الكتاب من الاسرار التي كانت غامضةً عني ولكنهُ اثر فيّ مضاً اليماً لما لا يخفى سببهُ فازداد فيّ الشر الكامن في قلب كل بشر واخذت استعد لانفاذ مقاصدي الشريرة . ولم ابرح اواصل كتبي الى ابنة عمي استطلاعاً لما عساهُ ان يجدّ من الامور التي تهمني معرفتها الى ان كتبت اليّ اخيرا تنبئني بسفرهم الى مصر . وكنت قد اتممت اعمالي في محل اقامتي فلم البث ان ركبت البحر وتبعتهم فبلغت القاهرة بعدهم بستة ايام وعلمت انهم نزلوا في فندق الكنتيننتال فرأيت من الحكمة لما قصدتهُ ان لا اكون معهم فنزلت في فندق شبرْد . وبعد وصولي بنحو ساعتين خرجت اتمشى الى ان بلغت الكنتيننتال وامامهُ رواقٌ يطل على أهم شوارع القاهرة وعلى اجمل حدائقها وقد أنير الرواق المذكور بالانوار الكهربائية وهو مملوءٌ بالرجال والنسآء من انحآء مختلفة وفي وسط الجمهور قبةٌ تصدح تحتها الموسيقى الانكليزية والناس يشربون المرطبات والمنعشات . فدخلت وارسلت نظري بين ذلك الجمع الغفير الى ان استقرّ على حبيبتي راحيل وهي جالسةٌ في احدى زوايا الرواق والى جانبها فتى لم اشكّ في كونهِ خطيبها ثم والدها وابنة عمي مريانا . ورأتني راحيل فأخبرت مريانا واشارتا اليّ فذهبت اليهم وبعد التحية عرّفتاني بالكولونيل والقبطان وجلسنا وانا بين نارين نار الحب ونار الانتقام

ولبثنا الى ان اخذ الجمع في الانصراف فاستأذنت وانصرفت على غير هدًى وانا اؤمل ان اجد في النوم ما يزيل اضطرابي وما بلغت الطريق وسرت قليلاً حتى سمعت صوتًا يناديني واذا بمريانا ابنة عمي فقالت انها تودّ ان تسير معي قليلاً فأخذت يدها وسرنا الى حديقة الازبكية وكنا صامتين لا ينطق احدنا ببنت شفة. ثم نظرت اليّ مريانا شزرًا وقالت اراك يا ابن العم قلق البال فما الذي يشغل افكارك. قلتُ لا شيء ايتها العزيزة. قالت لا تنكر عليّ فاني اعلم منك بحالك انك تفكر في وسيلة تمنع بها زواج جيوفري براحيل وانا اسعى في ذلك ايضًا وقد ادركت انك على رأيي ولذلك احببت الاجتماع بك على حدة لنرى كيف نتوصل الى ذلك. فاستغربت مقالها وقلت ولكن ما الذي يدفعكِ الى منع هذا الاقتران. قالت الذي يدفعك انت فاعلم انني بعد ان كنت الحّ على جيوفري بوجوب الاقتران وعدم اهتمامي بالثروة التي كان من الممكن حصولي عليها رأيت بعد ان جرت بيننا المكاتبة الاخيرة انني احبك. نعم انا احبك يا جورج واودّ ان نقترن بي ولذلك فقد ندمت على ما فرط مني في اغرآء جيوفري بالزواج واجتهد الآن في منعهِ او تأخيرهِ الى ما بعد يناير القادم لتصبح الثروة لي واذ ذاك لا اظنك تتأخر عن قبول يد ابنة عمك التي حياتها في هواك واذا عاشت فهي انما تحيا بك ولك

ولو سقطت على رأسي صاعقة في تلك الحال لما كانت اشدّ مضاضةً عليّ من كلام ابنة عمي وشعرت ان اسناني تصطك داخل فمي وركبتيّ ترتعشان فلبثت حينًا كالمأخوذ وانا اجيل الرأي فيما اصنعهُ واخيرًا بدا لي اني لو بحت لمريانا بما انا فيهِ من الشغف براحيل واستحالة ما تطلبهُ مريانا لسعت هذه في الانتقام مني كما اسعى انا في الانتقام من جيوفري وربما قامت حائلاً دون ما اسعى اليهِ ورأيت اني لو اجبتها الى طلبها ربما وجدت فيها عونًا لي على الوصول الى بغيتي وتنفيذ مرامي ولا سيما وهي مع راحيل وخطيبها. فضممتها الى صدري وقبلتها كمن يقبل افعى للتخلص من شرها وقلت لها دعينا الآن نذهب الى مضاجعنا نفكر في الوسيلة التي تبلغنا مرامنا وسنجتمع غدًا وننظر فيما يُفتح بهِ علينا. ثم ارجعتها الى الكنتيننتال وعدت الى

مقرّي فقضيت نحو ساعتين افكر فيما حصل ثم أُغلقت خزانة افكاري فنمت نوماً عميقاً

وفي الصباح قمت وكان كل متمناي ان ارى حبيبتي راحيل لكن لما لم يكن من اللائق ان ازورها حيث تقيم مع خطيبها خطر لي انها كغيرها من الفتيات لا بد ان تختلف كل يوم الى مخازن خان الخليلي حيث البضائع الشرقية والمطرزات والملابس الحريرية وغيرها فرأيت ان اذهب الى هناك لعلي اتوفق الى رؤيتها فاتزود منها نظرة ولو عن بعد . فاكتريت عربةً وذهبت الى المحل المذكور وجعلتُ انتقل من محلٍ الى آخر وانا لا اهتم لشيء من تلك البضائع النفيسة والعاديّات الثمينة التي يعرضها عليّ التجار فاني كنت انشد ضالةً غير ضالتهم . وبقيت كذلك الى الظهر وحانت مني التفاتة الى بعض المخازن فرأيت فتى سائحاً يشتري شيئاً من الحلى وهو اصفر اللون يتحلب العرق من جبينهِ بكثرة ثم دفع ما عليهِ وخرج . فراقبتهُ وهو يتهادى كالسكران الى ان بلغ عطفةً فترنح فيها وسقط الى الارض واذ ذاك اسرعت اليهِ لاقيمهُ فما لمست يديهِ حتى شعرت بحرارةٍ لا تطاق فعلمت ان الفتى مصابٌ بالحمى الوبالية الخبيثة . فحملتهُ الى عربةٍ وسرنا بهِ وعلمت انهُ انكليزي الاصل واسمهُ المستر ألديس وهو نازلٌ في فندق الكتيننتال الذي فيهِ راحيل واصحابها واخبرني انهُ شعر بهذه الحمى من مدة وكان يقاومها بقوتهِ غير مهتم بها الى ان شعر اخيراً بتغلبها عليهِ ويخشى ان تكون كرّتها هذه القاضية . فأوصلتهُ الى قيّم فندقهِ وعدت وقد اشرق عليّ فكرٌ خطير . وذلك اني كنت قد احضرت معي من رومية عدداً وافراً من بعوض الحمى الوبالية وقد جعلت تلك البعوضات في زجاجة مخصوصة فيها ثقوب للهوآء وكنت اغذوها بثمر الموز وانا معتنٍ بالمحافظة على حياتها لاكمال تجاربي الطبية كما ذكرت اولاً . فسوّل لي الشيطان ان آخذ بعوضةً منها واطلقها على جسم المستر ألديس حتى تمتص من دمهِ ثم احتال في جعلها تنقل العدوى الى جيوفري خطيب راحيل فاذا حصل ذلك مرض الرجل بالحمى الوبالية في درجتها الثانية الغير القابلة للشفآء وحصلت على راحيل بدون ان يتنبه احد لعملي الشيطاني هذا . فأخذت للحال من بين البعوض اثنتين سميت الواحدة عزوائيل

والاخرى ابولون ووضعتهما في انبوبة زجاجية صغيرة وتوجهت الى الكتينتال واستأذنت المستر ألديس في عيادتهِ طبياً فأجاب ولما دخلت غرفتهُ اطلقت عزرائيل وابولون من سجنهما الزجاجي بدون ان ينتبه الرجل الى ما فعلت ثم جلست اليهِ وجعلت احادثهُ عن مرضهِ . ولما علم اني طبيب وليس معهُ احد يعتني بهِ تشكر لي وطلب ان اواصل زيارتهُ ما امكن . و بينما نحن في الحديث رأيت ملكي الموت قد استقرّ الواحد على يدهِ والآخر على جبينهِ فاستبشرت بالخير و بعد نحو دقيقة شعر ألديس بعضّة البعوضة على يدهِ فهم بقتلها فسبقتهُ قائلا اسمح لي بها ايها العزيز فاني اراها من غير نوع البعوض المألوف وانا مغرم باختبار هذه الهوام . قال خذها لا بارك الله فيها . فاحتلت عليها وادخلتهـا الانبوب الزجاجي ثم قلت لهُ وهذه شقيقتها على جبينك واخذت الاخرى ايضاً فوضعتهما في جيبي وقد شعرت اني ملكت مال قارون . و بعد بضع دقائق استأذنتهُ وخرجت وما بلغت الرواق حتى رأيت ابنة عمي مريانا جالسة تقرأ فجلست بجانبها وغرقنا في حديث مهمّ

اخفيت عن ابنة عمي ما يجب اخفآؤهُ واطلعتهـا على الباقي ثم سلمتها واحدةً من البعوضتين واوصيتها ان تطلقها داخل سرير خطيب راحيل فاذا عضتهُ تحققنا الفوز اذ لا بد ان يمرض الرجل مرضاً ينتهي بالموت لا محالة . فذهبت مريانا لما لما اوصيتها بهِ وعدت الى غرفتي انتظر الصباح . فلما جآء اليوم الثاني ذهبت اليهـا فقابلتني بوجهٍ باش والسرور طافح من محياها وقالت قد قضي الامر وانفذ عزرائيل مهمتهُ كما ينبغي وقد رأيتهُ اليوم مقتولاً على فراش جيوفري واظنهُ قتلهُ بعد ان عضهُ العضة القاضية فان الرجل الآن يتقلب على سريرهِ متوجعاً من الحمى المحرقة وحولهُ خطيبتهُ راحيل ووالدها في وجل عظيم . فحزنت على موت عزرائيل ولكن سرّني نجاح المسعى . ثم قالت والآن فان جيوفري لن يرث الثروة بل سأرثها انا فاستعد لمشاركتي في هذه السعادة . ولم ارَ من موجب لاخفآء ضميري بعد ما حدث فتبسمت باستهزآء وقلت لهـا وهل يخطر لكِ أني اقدمت على هذا العمل لاقترن بكِ انتِ . أولا تعلمين ان حياتي رهنٌ لراحيل دون سواها فهي وحدها

منيتي وهي وحدها زوجتي واما انتِ فقد استخدمتكِ لغرضي فاذهبي الآن واختاري لكِ من تشائين ولا تطمعي في شراك نعلٍ مني وكفى

فاكفهرّ وجهها وقالت اولا تعلم ان حياتك في يدي وان في امكاني اعلان ما فعلت فاصرخ على رؤوس الاشهاد انك قاتل . قلت ان اكن قاتلاً فانت شريكتي في العمل فانا الذي مزجت السم وانتِ التي توليتِ تجريبهُ فان حافظتِ على السرّ والاّ فالموت لكِ اولاً ولي ثانياً . فاطرقت هنيهةً ثم تبسمت وقالت لا . لا . بل لندفن سرنا هذا في اعمق بئر واذا كنت انت لا تحبني فاني بعد حصولي على هذه الثروة لا يعجزني انتقاء الزوج الذي اريدهُ. ولكن قل لي اتعتقد ان هذه الجرعة الواحدة كافية لاعدام جيوفري . قلت ذلك ما لا اشك فيهِ وان شئتِ زيادة الاطمئنان فأبولون لايزال معي فاعيدي بهِ الكرة على جسم جيوفري وانا ابشركِ ان ملايين السير ادمون قد دخل نصفها في جيبكِ من الآن . قالت حسنٌ فأعطني ابولون . وكنت لا ازال حافظًا الانبوبة الزجاجية وفيها البعوضة الثانية فسلمتها اليها ثم ذهبت الى غرفتي فنمت نوماً هنيئاً كما ينام ميت الضمير ولما قمت في الصباح وجدت مع خادم غرفتي رسالة باسمي ففضتها واذا هي من ابنة عمي تقول فيها

« بما انك قد رفضتني وجعلت آمالي هباءً منثوراً فلأحرقنّ فؤادك كما احرقت فؤادي ولتعلم انك لن تنال ما يبرّد غليل حبك . اني لم آخذ منك ابولون لاستوثق من موت جيوفري فان آلامهُ الحاضرة تدل على دنو اجلهِ وانما اخذتهُ لاسمّ بهِ حبيبتك راحيل وقد فعلت ولسعها حال خروجك من عندي فهي وخطيبها سيفارقان هذا العالم تاركين لك فيهِ شقاء الحياة وعذاب تبكيت الضمير وانا سأسافر مع قطار الليل الى الاسكندرية وابحر غداً الى مسقط رأسي فعش انت معذباً ومت مجرماً محتقراً من

ماريانا »

ولا استطيع ان اصف ما حلّ بي عند قرآءة هذه الاسطر من اليأس والاسف وما اخذني من تأنيب ضميري الذي هبّ من رقادهِ يعذبني ويأكل قلبي فلم اشعر

الاوقد صرت عند الكولونيل دنزا فوجدتهُ يندب سوء حظهِ بين سريري ابنتـهِ وخطيبها ورأيت الاثنين غائبين تحت اثقال الحى المحرقة . وفي تلك الدقيقة استيقظت في داخلي العواطف الانسانية بعد ان تغلبت عليها شهواتي الحيوانية فجثوت وطلبت منهُ تعالى ان يصفح لي عما فعلت وقلت حاشا ان اكون السبب في تفريق هذين الحبيبين . ولكن ... جآء الندم بعد اوانـهِ لاني رأيتهما على شفا الموت فامرت لهما ببعض المسكنات وحاولت ان اصبّر قلب ذلك الوالد المسكين ثم خرجت وانا لا اعي من الدنيا شيئاً

. . . .

كانت نتيجة ابحاثي ودرسي المرض اثنآء اقامتي في رومية ان اكتشفت مصلاً ترجح عندي انهُ مضادٌ لهذا الدآء ولكني لم اكن بعد قد اختبرتهُ ولا تحققت خلوهُ من الخطر لمن يتعاطاهُ فلما رأيت راحيل تتألم وتيقنت انهـا مائتة لا محالة علمت ان لا واسطة بشرية تنجيها من مخالب الموت الا هذا المصل اذا ثبت نجاحهُ ولكن من اين لي ان اعرف ذلك . و بعد تقليب الفكرة اخذت زجاجة المصل الذي جهزتهُ وذهبت الى غرفة المستر ألديس فوجدت حالهُ يزداد سوءا فقلت لهُ ايها العزيز انك تحت خطر الموت ولديّ تجربة فاما ان تصيب فتحيا او تعجل عليك الموت فهل تسمح لي ان اجريها . قال نعم اسمع بدون تأخير فاما ان اعود الى الحياة واما ان اموت فاتخلص مما انا فيهِ . فبادرت للحال وحقنتـهُ بالمصل المذكور وجلست الى الى جانبهِ اراقب ما يكون الى المسآء . ولا اقدر ان اصف سروري عند ما رأيت الرجل في تقدم لحقنتهُ ثانيةً وسهرت بجانبهِ الى الصباح فلما استيقظ من نومهِ هبّ من فراشهِ كانهُ لم يمرض قط فاعطيتهُ بعض المقويّات ولم يمضِ على ذلك يومان حتى عاد الى تمام العافية . ولما تحققت نجاح مصلي المذكور توجهت توًّا فاستعملتهُ لحبيبتي راحيل وخطيبها جيوفري فجآء بالنتيجة نفسها و بعد اسبوع خرجا ممتلئين من الصحة يقفزان ويمرحان كفرخي نعام وعادا الى استتمام اهبة الزواج وقد قررا ان يكون في الخامس والعشرين من شهر دسمبر

ويظهر انهُ اثناء سهري على راحيل وخطيبها لسعتني البعوضة ابولون وكانت لا تزال حيةً فنقلت اليَّ العدوى وجاءتني الحمى بقوتها الشديدة فلزمت غرفتي في فندق شبرد وقد ايقنت اني هالكٌ لا محالة . ولم تطاوعني نفسي على استعمال المصل الذي اكتشفتهُ لانهُ لم يبقَ لي اربٌ في الحياة بعد ما سمحت براحيل لخطيبها فرأيت ان الموت هو الدوآء الوحيد الذي يشفيني مما هو اشدُّ من دآء الحمى وينسيني اني شقيٌّ أُحِبّ ولا أُحَبّ . نعم اني انقلب الآن على فراش الالم ولكنهُ لا يطول هذا العذاب وعما قريب ينام جسدي نوم الراحة الابدية

وقد وجدت من نفسي اليوم بعض النشاط فطلبت ورقًا واخذت اكتب قصتي هذه لاهديها الى حبيبتي راحيل وخطيبها حتى اذا متُّ هنا غريبًا يهتمان بأمر دفني ويكونان عارفين بخطيئتي وتوبتي فيصفحان ويترحمان . ولكن قبل الختام يجب ان لا اكتم امر هذا المصل الذي وُفقت الى اكتشافهِ وسيكون بلا ريب من اهم الاكتشافات التي تخفف الويلات عن بني الانسان واذ قد تقرّر نجاحهُ فهو يعود على من يستولي عليهِ بشهرة الاسم والغنى العظيم . اما انا فلست بمتنفعٍ منهُ ولكني اهديهِ لكِ ايتها الحبيبة راحيل مع قصتي هذه التي ارجو ان تأخذ مكانها من صدركِ وصدر خطيبكِ جيوفري واستحلفكما بالله ان لا تكونا واجدين عليَّ بل ارحماني واصفحا عن ذنبي . اما تركيب المصل المذكور فهو

. . . .

في الصباح التالي دخل خادم الفندق الى غرفة الدكتور جورج ماتشن بطعام الصباح على عادتهِ فوجدهُ ملقى على سريرهِ وقد فاضت روحهُ والى جانبهِ الاوراق التي كتبها وقد استوقف الموت يدهُ عن تتمة وصف العلاج

وكانت الاوراق معنونة باسم راحيل دنزا في الكنتيننتال فاخذها الخادم اليها واعلمها بموت الدكتور فجاءت مع ابيها وخطيبها الى حيث غسلوا جسدهُ بدموعهم ونقلوا جثتهُ الى لندن فدفنوها مترحمين على شبابهِ